الباب الثالث

غزة وإسرائيل والأمن القومى المصرى

غزة والأمن القومى المصرى

قاصرة تلك القراءة التي تختصر ما يجري على حدود قطاع غزة باجتهادات فردية أو قراءة أحادية لمشهد تزدحم فيه قصص التاريخ والرؤى الإستراتيجية فغزة جسر بين الشام ومصر بل جسر لكل من آسيا وأوروبا، ومن هنا فإن غزة إما جسر مانع أو واصل بين المشرق العربي والمغرب العربي، تشترك مصر بحدود مع قطاع غزة، ويفصلها البحر الأحمر عن كل من الأردن والسعودية فهي الدولة العربية الآسيوية الوحيدة التي لها مع مصر حدود برية، وعادة ما تلعب المعطيات الجيواستراتيجية دوراً بالغ الأهمية في تحديد ثوابت السياسة الخارجية للدول وذلك للمحافظة على حياة الشعوب وبقائها، من ناحية وتحقيق أمنها وسلامتها واستقرارها، من ناحية أخرى0

والأمن القومي لمصر ارتبط تاريخياً بجغرافيتها ووجود نهر النيل، وأصبح من أبجديات إستراتيجيات الأمن القومي أن فلسطين خاصة قطاع غزة- تُشكل مكوناً رئيسياً في قلب مفهوم الأمن القومي المصري ترتج غزة فتسقط بوابة مصر الشرقية، وتصمد غزة فتمتنع مصر كلها0

وحقائق التاريخ والجغرافيا رسخا ارتباط أمن مصر واستقلالها بما يجري وراء حدودها الشمالية الشرقية، لذا يجب أن ينظر إلى مصر وفلسطين خصوصاً غزة وكأنهما تشكلان كتلة إستراتيجية واحدة وهذه خلاصة تاريخ طويل من أيام الفراعنة 0

اختلفت طبائع الصراعات من عصر إلى عصر لكنها اتفقت جميعاً على ظاهرة واحدة: أن مصر تنتصر حين تدافع عن نفسها خارج حدودها، أو حين يدافع عنها الآخرون هذه الحقائق تفرض على صناع القرار في مصر ضرورة العمل على صياغة وتنفيذ سياسة خارجية قادرة على صيانة الأمن القومي المصري ويجب تحديد نقاط هامة وأساسية منها:

- لا يمكن بحال من الأحوال المساس بمصر وأمنها أو قبول ذلك من أي طرف كان0

- لا يوجد فلسطيني واحد إلا ويتمنى الخير لمصر وأهلها0

- واقع مصر المؤلم اليوم المسؤول الأول عنه هو النظام 0

- الواقع المؤلم لا ينتقص من شعب مصر أو تاريخها، ولا يُشكل إهانة له، لكنه إدانة للنظام المصري، وحافز نحو التغيير والعودة بمصر لأصالتها التي أضاعها النظام0

برزت على الساحة المصرية وعلى لسان المسؤولين والناطقين والمتحدثين والاعلاميين، نغمة الأمن القومي المصري، خاصة بعد

المشاركة المباشرة للنظام المصري في حصار وقتل أهل غزة الجريحة، وفي محاولة لتبرير تلك الجريمة بعد الرد على كل ادعاءات هذا النظام لابقاء معبر رفح مقفلاً، وحربه المفتوحة على حملات الاغاثة والأنفاق وغيرها0

وقد زادت جرعة الاستخدام السيء لعبارة الأمن القومي المصري، حتى أن الكاتب الكبير فهمي هويدي يقول في مقال له تحت عنوان الجدار حماية لأمن اسرائيل بتاريخ 2009/12/29 وبرصد عدد المرات التي أشير فيها إلى مصطلح الأمن القومي في احدى الصحف القومية، وجد أن المصطلح ذكر 46 مرة، وكان يُقصد منها تجييش وتهييج الشارع المصري من خلال استفزاز مشاعره الوطنية ضد غزة وأهلها، التي باتت خطر على الأمن القومي المصري كما يراه النظام، لكن يحق لنا أن نتساءل ما دامت هذه هي حجتهم ببعض أسئلة لا كلها حتى لا نُثقل على القارىء:

ـ ما الخطر الذي شكلته وتشكله غزة وأهلها على الأمن القومي المصري؟

ـ هل يستطيع أي مسؤول مصري أن يذكر حادثة واحدة تهدد فيها الأمن المصري وكان مصدرها غزة، بل هل يستطيعون ذكر حادثة واحدة لفلسطيني أضربمصر؟ 0

- يكررون أكاذيب لا أساس لها من قبيل أن سكان غزة أنزلوا العلم المصري ليرفعوا العلم الفلسطيني على المباني الحكومية في سيناء – هل يمكن أن نعرف اسم مبنى واحد لنصدقهم؟0

- يتحدثون عن خطر داهم في سيناء خوفاً من دخول الفلسطينيين واستيطان سيناء شعب رفض التوطين 60 سنة وفي ظروف أفضل مئات المرات من ظروف سيناء المحتلة، وشعب دخل نصف سكانه في أيام وهم جوعى بعد حصار شدسد وغادروا دون حادثة مشينة واحدة وبإرادتهم، هل هؤلاء يرغبون في العيش خارج أرضهم؟0

وفي الاتجاه الأخر نطرح الأسئلة الآتية :

- أين أمن مصر من المتسللين الأفارقة الذين يخترقون مصر من أقصى جنوبها على حدود السودان وصولاً إلى حدودها الشرقية لتقتلهم قوات الأمن المصري حفاظاً على الأمن القومي؟0

- لماذا تقتلهم مصر ولا تترك تلك المهمة لقوات الاحتلال التي تستقبل من يدخل منها بالترحاب وتمنحه اللجوء، فتظهر مصر بدور القاتل ويظهر الاحتلال في صورة المتحضر العطوف؟0

- قلب النظام المصري الدنيا ولم يقعدها بعد حادثة مقتل الرائد ياسر عيسوي بتاريخ 2008/12/28، وجنّد وحشد لهذه الحادثة بعيداً عن أي تحقيق جاد ومتجاهلاً شهادات الشهود، وتكال اتهامات لغزة وأهلها،

واعتبره مساساً خطيراً بالأمن القومي المصري، لكن في الوقت نفسه غض ويغض الطرف عن حوادث اعتداء مستمرة وبالعشرات من قبل الاحتلال ومنذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد نورد أمثلة على سبيل المثال لا الحصر فى الباب الخامس تحت عنوان أبرز الانتهاكات الصهيونية لحدود مصر وسيادتها 0

تهديد أمن مصر:

تضع اسرائيل نصب عينيها هدفاً واضحاً في أفريقيا، سبق أن عبّر عنه ليبرمان قبل سنوات بدعوته لقصف السد العالي وتدميره وإغراق مصر كلها بمياهه، ولعلمهم باستحالة تنفيذ هذا الأمر في هذه المرحلة على الأقل، تحاول الدبلوماسية الاسرائيلية قتل مصر وتدميرها ليس بإغراقها، بل من خلال الوصول لمنابع النيل والتحكم والسيطرة عليها، لتموت مصر عطشاً وجوعاً، أو ترضخ للجانب الاسرئيلي بالكامل وشواهد تلك المحاولات التاريخية كثيرة، لكنها اليوم أصبحت حقائق على الأرض، فإقامة المشاريع والسدود ليست استثماراً مالياً بحت، بل استكمال لفرض حصار على السودان ومصر0

ما دمنا نتحدث عن دلالات توقيت الزيارة، فإن مصر لم تسقط سهواً من ذلك الحديث، لكن استهداف مصر يحتاج لتفصيل وتوضيح :

- تحاول إسرائيل منذ عقود أن تؤثر على الأمن المائي القومي المصري،

من خلال تحكمها في البحيرات الوسطى، ومنابع النيل في القارة الأفريقية، في سعى حثيث لإقصاء مصر عن ساحة الصراع العربي الإسرائيلي، ومن خلال اشغالها بمشكلة المياه وأمن النيل0

- طالبت مصر مؤخراً بزيادة حصتها في مياه نهر النيل وتغيير الاتفاقات القائمة، مما أثار خلافات بين دول المنبع الثلاث (من بين الدول الخمسة التي سيزورها ليبرمان هناك ثلاثة تسيطر على منابع نهر النيل، فأثيوبيا تسيطر على بحيرة تانا التي ينبع منها النيل الأزرق، وكينيا وأوغندا تسيطران على بحيرة فكتوريا التي ينبع منها النيل الأبيض)، ودول الممر والمصب أي السودان ومصر0

المصالح المشتركة بين مصر وغزة

حتى بعد اتفاقات كامب ديفيد لا يزال الكيان الإسرائيلي ينظر إلى مصر كعدو رئيسي، ويعتبرها التهديد الإستراتيجي الأقرب له، وتدخل الكيان أكثر من مرة لمنع مصر من الحصول على سلاح متقدم ويضع الكيان إستراتيجياته وفق معايير واحتمالات خوض حرب مع مصر وباقي الدول العربية، ومن حقّ مصر أن تضبط إستراتيجياتها وفق احتمالات العدوان الإسرائيلي، خصوصاً وأن اتفاقيات كامب ديفيد جعلت من سيناء منطقة ساقطة عسكرياً0

الحلم الإسرائيلي لم يغادر سيناء وإن كان تأجل نتيجة متغيرات يقر بها الكيان وتعتبر شبه جزيرة سيناء الخاصرة الأمنية الرخوة بالنسبة للقطر المصري، نظراً لتقييد سيادة مصر عليها في اتفاقية كامب ديفيد ، وغزة هي المتاخمة لسيناء، وبالتالي فإن ضعف وتهتك أمن غزة سيكون مدخلاً ومخرجًا لأي عمل تخريبي يستهدف الأمن القومي المصري من جهة سيناء، ومن هنا يجب على الإدارة المصرية النظر إلى المقاومة في غزة على أنها جبهة مصر المتقدمة في الدفاع عن أمن مصر إن هذا الاعتبار، وتبني هذه الإستراتيجية يمكن النظام المصري من جني الثمار التالية على الأقل:

- **إشغال العدو الصهيوني واستنزافه لدرجة لا تمكنه من التفكير في الإعتداء على مصر0**
- **إبقاء العدو في حاجة لمصر كوسيط0**
- **منح القاهرة الذرائع للعمل على تغيير الواقع الأمني الذي فرضته اتفاقية كامب ديفد في سيناء لصالح مصر0**

لذلك فإن وجود كتلة مقاومة قوية في غزة لن يكون فقط عنصر حماية للفلسطينيين، يمنع تهجيرهم وتجويعهم وإذلالهم، بل سيكون أيضاً عنصراً دفاعياً وخطاً أمامياً رادعاً للكيان الإسرائيلي من أن يقوم بمغامرات محسوبة أو غير محسوبة ضدّ مصر0

إن أمن مصر القومي يحتم عليها النظر إلى حركات المقاومة الفلسطينية بمعيار يبحث عن العناصر الإيجابية والإمكانات المدخرة فيها ويمكن النظر هنا إلى قيمة قوى المقاومة الشعبية في أوضاع لا تكون فيها الجيوش النظامية قادرة أو راغبة في الدخول في حروب أو أداء أدوار معينة0

مسؤولية مصر القانونية تجاه غزة

إن قضية فلسطين هي قضية الأمة العربية والإسلامية وهي تعزز زعامة مصر للأمتين في حال دافعت عن حقوق الشعب الفلسطيني، وهي قضية قريبة جدًا من الشعب المصري ثقافة وتاريخًا ووجدانًا0

كانت مصر في قطاع غزة منذ عام 1948 وحتى 1967، وكانت هي المسؤولة قانونيًا عن القطاع، وفي أعقاب حرب 1967، سقطت غزة في قبضة الاحتلال بعد هذا الحدث الخطير، وبعد فقدان غزة لم تقم مصر بأي عمل كان لاسترداد القطاع باعتبارها المسؤولة الأولى عن فقدانه، والأخطر أنها وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل ولم تسترجع غزة من الاحتلال، وهذا منافٍ للقوانين الدولية، حيث أنهت مصر العداء مع الكيان بدون أن تحاول رد الحقوق إلى أهلها0

وحمايةً لأمن مصر القومي دخلت مصر حرب 1948 دفاعاً عن تواصلها مع المحيط العربي لأن قيام كيان استعماري توسعي بجوارها

يفصل بينها وبين محيطها العربي كان ولا زال حربة في قلب الأمن القومي المصري، وهذا الكيان لا يكتفي بذلك بل يرغب في السيطرة على مصر وعلى المنطقة العربية كلها وفي عام 1956 حاربت مصر من أجل تأميم قناة السويس وفي عام 1967 إسرائيل هي التي هاجمت وسحقت الجيوش العربية والنتيجة طرد الجيش المصري من غزة وفي عام 1973 مصر حاربت لاسترداد سيناء، وكما أسماها السادات في حينه، آخر الحروب ومن هنا فإن المسؤولية القانونية لاستعادة غزة وتحريرها كلياً من الاحتلال مسؤولية مصرية على وجه الخصوص0

<u>تغير معايير الأمن القومي المصري</u>

من خلال تتبع تفاصيل المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار في غزة يتضح تغير أو انقلاب معايير الأمن القومي المصري، بحيث انقلبت نظرية الأمن القومي المصرية التاريخية التي تقوم على اعتبار إسرائيل هي العدو الأول، إلى اعتبار الإسلاميين هم العدو الأول سواء داخل أو خارج مصر. فلم يقتصر الأمر على التنسيق الأمني مع العدو الصهيوني في سيناء، ولا نشر قوات الجيش خصيصا على الحدود لحماية السياحة الإسرائيلية من استهداف جهاديين لمدينة إيلات بالصواريخ، ولا التنسيق مع العدو ضد المقاومة في غزة ودعم حصار غزة عبر غلق معبر رفح تماما وهدم 90% من الأنفاق التي يستند لها الشعب الفلسطيني في الحصول على حاجاته الأساسية.

غياب الوجود المصري عن غزة :

بعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية والسيطرة على قطاع غزة، قامت مصر بسحب سفيرها ووفدها الدائم في غزة، وإن كان وفدًا أمنيًا، إلا أنه كان تواجدًا مهمًا على الأرض، وبعد سحبه أصبح هناك فراغ لأي دور مصري، وحسب قوانين الطبيعة يجب أن يملأه أحد وكان من الأولى أن تحافظ مصر على تواجدها الأمني على الأقل، ليس لمصلحة قطاع غزة وحماس، بل من أجل مصر نفسها، وحمايتها، ورؤية الأمور على الأرض بشكلها وصورتها الصحيحة، مما يؤدي إلى الحكم على الأمور بشكل أقرب إلى الصواب وكان هذا خطأ إستراتيجيا لمصر في علاقتها مع قطاع غزة لكن بالتأكيد فإن هناك لغط في مواقف الحكومات العربية من مذبحة غزة فرغم أننا لا نستطيع أن نعتقد أن هذه الأنظمة تستمتع بمنظر الأطفال والنساء القتلى فإن ما يبدو أنها لا تمانع فى ضرب عضلة إسلامية انتخبها شعبها بإرادته قبل أن تحترق بعدوى هذا النموذج وبالتالي تصبح هذه الأنظمة غير قادرة على التحكم فى الأمور، وغير قادرة على قراءة أجندة العدو، وبالتالي غير قادرة على مواجهتها، وهو ما يؤدي لاضطراب الأولويات والبرامج بين الداخلي والخارجي ومن هنا يكون تعطيل شريان الحياة 3 ومنع المتضامنين من الوصول إلى غزة والشروع بتنفيذ اتفاق إسرائيلي أمريكي أمني لبناء جدار الموت الفولاذي لقتل بقية الحياة في غزة 0

تآكل صدق الإدارة المصرية فى طريقة إدارة العلاقة مع قطاع غزة ومعبر رفح، قد أثار استياء وغضب الشارع المصري والعربي والإسلامي بل والعالمي، وتسبب في خسائر كبيرة للدبلوماسية المصرية ، ولهيبة مصر ومكانتها، كزعيمة للعالم العربي والإسلامي، ومن المثير للأسى أن يأتي الكيان الإسرائيلي ليسوق نفسه لبعض الأنظمة العربية كشريك في الحرب على الإرهاب، وفي الوقت نفسه تتعامى الأنظمة العربية عن النظر لحماس وقوى المقاومة باعتبارها عنواناً لعزتها وكرامتها، وخط الدفاع المتقدم عن الأمة، بل ورافعة حقيقية لمطالبها السياسية ولو أن الإدارة المصرية تتعامل مع قطاع غزة بالشكل الصحيح :لاستطاعت بشكل مطلق حفظ الأمن القومي المصري ولكانت قد حققت شعبية هائلة في الشارع المصري، ومتنت جبهته الداخلية ولجعلت من مشكلة تنفيذ الحصار مشكلة إسرائيلية وليس مشكلة مصرية ولأصبحت أقدر على التأثير على كل من فتح وحماس في تسريع خطوات المصالحة الوطنية0

إن مصر بحاجة إلى صياغة أسس جديدة للعلاقة مع حماس بناءاً على مواقفها السياسية الأكثر اتساقاً مع المصالح الوطنية الفلسطينية والعربية وليس انتماءها الفكري أو ارتباطاها التنظيمي ومصر ستكسب أكثر ومصلحتها تتحقق بتنسيق مع حماس يقوم على أسس براجماتية، وهناك الكثير من الامتيازات ستحققها مصر من علاقتها مع حماس منها:

- إعادة التأكيد على توصيف علاقة مصر بقطاع غزة يأتي في سياق وضع النقاط على الحروف وتثبيت معنى هذه العلاقة الإستراتيجية العميقة والتاريخية0

- تصاعد الأزمة بين الحكومة الإسرائيلية وقطاع غزة، بعد التدخل البرى الذى نفذته القوات البرية الاسرائيلية على القطاع سيؤثر بشكل مباشر على طبيعة الصراع،وربما على مجريات الأمور على الأرض فى الوقت الحالي0

- الأمر الذى يجب التوقف عنده فى البداية هو الدور الإقليمى فى هذا الصراع بين اسرائيل وقطاع غزة، فهناك العديد من دول الجوار الاقليمى لاترغب فى تهدئة الأوضاع وتسعى ليكون لها الدور الأول والأخير فى إنهاء تلك الأزمة فى سبيل تحقيق مجد شخصى أو محاولة لعب دور اقليمى جديد0

إسرائيل والأمن القومي المصري

إسرائيل تمثل مصدر التهديد الرئيسي ليس فقط للأمن الوطني المصري ، بل ولعلاقات مصر العربية، وحتى في مجال دور مصر في تعزيز التوصل إلى تسوية وتدرك أجهزة صناعة التقدير الإستراتيجي أن إسرائيل وبدعم كامل من الولايات المتحدة تعمل بإصرار على عزل مصر عن محيطها العربي والإسلامي ومحاصرة دورها المساند للأطراف العربية التي تتفاوض مع إسرائيل، وتصر الأخيرة على أن ينحصر الدور المصري في الوساطة ونقل الرسائل بين العرب والصهاينة ويمكن القول إن التقدير الإستراتيجي الذي يتبناه كثير من الخبراء المصريين وغيرهم ينصرف إلى إدراك قوي بأن إسرائيل ما تزال تمثل مصدر التهديد الرئيسي لمصر، وذلك للأسباب التالية:

- **الاختلاف الكبير في الثقافة والقيم التي ينطلق منها كل منهما0**
- **إسرائيل هي الوكيل الرئيس للاستعمار الذي يعمل على إضعاف إمكانات العرب، لأن يشكلوا أي قوة مستقبلية وبإرادة حرة ووطنية خصوصًا مركز الثقل العربي المتمثل في مصر 0**
- **إسرائيل دولة غريبة وتعرف أن بقاءها يعتمد على إضعاف من حولها0**
- **الفكر اليهودي والنظرة العقائدية اليهودية معادية جدا لمصر0**

علاوة على ذلك، فإن مصر دولة تشكل الزراعة جزءا هاما من الأمن الاقتصادي لها، وهذا الأمن يعتمد على تأمين تدفق مياه نهر النيل فنشطت إسرائيل وازداد نفوذها في دول أعالي النيل ودول مثل إثيوبيا وإريتريا، وهذا تهديد كبير ومستقبلي مستمر ومحتمل لمصر من ناحية النيل، وهنا نستحضر تهديدات ليبرمان بقصف السد العالي بالإضافة إلى التهديد المباشر من الناحية الشرقية الشمالية0

opeikandl.com